لغز الموقف التركي تجاه أحداث "كوباني"

د. الشيماء محمد محمود حسن*

رغم أن التدخل التركي حصل على موافقة البرلمان في التصدي لـ "داعش"، فإنه لا تلوح في الأفق أي بادرة تدخل من الجانب التركي لإنقاذ مدينة عين العرب (كوباني) الكردية؛ رغم تواجد ما يزيد عن عشر دبابات تركية «ملتصقة بالحدود التركية السورية» في مواجهة داعش بـ "كوباني". فبعد اقتحام ميليشيات تنظيم" الدولة الإسلامية" لمدينة كوباني (عين العرب) السورية، الواقعة على بعد ١٥٠ كيلومتراً شمال شرق مدينة حلب قرب الحدود مع تركيا، وهي ناحية إدارية ومدينة سورية تابعة لمحافظة حلب. والتي تكمن الأهمية الاستراتيجية والعسكرية لهذه المنطقة والمدينة، في أنها من أهم مناطق الثقل ونقاط الارتكاز للفصائل الكردية، وعلى رأسها الـ "YPG" أو ما يعرف بالنسخة السورية لحزب العمال الكردستاني في تركيا الـ "PKK".حيث أنها ثالث مدينة سورية ذات أغلبية كردية بعد القامشلي وعفرين. فبعد سيطرة "داعش" – ولو جزئياً – عليها، نجد حالة من التردد والازدواجية في الموقف الاوردغاني. فالرئيس التركي رجب طيب أردوغان يريد تدخلا عسكريا بريا ضد تنظيم الدولة الإسلامية ويطلب من البرلمان تخويله الحق في ذلك، لكنه في الوقت نفسه يمقت أي عملية عسكرية ضد تنظيم داعش. وهذا ما أكده رئيس الوزراء، أحمد داود أوغلو، بقوله: إن أنقرة ستبذل كل ما في وسعها كي لا تسقط كوباني، لكنه استبعد أي تدخل ضد "داعش" رغم أن مواقعها تقع على مرمى نيران الدبابات التركية. هذا بجانب رفض أنقره في وقت سابق فكرة المشاركة ولو بصورة شكلية في العمليات العسكرية ضمن التحالف الدولي ضد الإرهاب في كل من سوريا والعراق. هنا يُثار التساؤل حول أسباب استمرار فتور الموقف الأوردغاني التركي تجاه ما يجري في المنطقة، لا سيما وأن تركيا قد نجحت مؤخراً في تخليص رعاياها الرهائن بالوسائل الدبلوماسية من قبضة "داعش"؟.

أسباب التردد والتملص التركي الرسمي في التصدي لـ "داعش" في كوباني

هناك العديد من الأسباب وراء التردد الرسمي التركي الذي يرقى إلى درجة الرفض للدخول في مواجهة مباشرة مع تنظيم داعش الإرهابي في "كوباني" أبرزها:

١. السبب الأول: ويعد من الأسباب الجوهرية والرئيسية وراء سياسة أنقره الحالية المترددة في الانخراط في تحالف دولي واسع ضد أحدى أكثر القوى ظلامية ودموية، هو خوف الحكومة الأوردغانية من حزب العمال الكردستاني، الذي تعتبره إرهابيا. وتركيا تريد عمل كل ما في وسعها حتى لا تؤدي الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" إلى تقوية الأكراد، وتعزيز موقفهم في شمال سوريا، لاسيما مع احتمال أن تنتهي الأسلحة الغربية التي يتم تسليمها إلى المقاتلين الأكراد في سورية بأيدي حزب العمال الكردستاني الذي بدأت معه حكومة أنقرة محادثات سلام قبل نحو عامين، وأن يتم إنشاء إقليم كردي في تركيا على نمط كردستان العراق، وهذا ما يقلق أنقرة من انه قد يؤثر على مسارها وعلى أمنها القومي في المنطقة. الأمر أصبح تسليح الأكراد يشكل هاجساً لأنقرة التي تريد تجنب تعزيز موقف الأكراد ووصول الأسلحة المقدمة من دول التحالف الدولي لهم. لذا تريد أنقرة القيام بكل شيء ممكن لتتفادى أن تتحول الحرب ضد تنظيم "الدولة الإسلامية" لصالح الأكراد.
٢. السبب الثاني: هو طبيعة القاعدة الانتخابية للرئيس التركي رجب طيب أردوغان وحزبه. فالمعلوم أن حزب العدالة والتنمية التركي، ورغم الادعاء بأنه حركة سياسية محافظة، حرص من خلاله على مدى السنوات العشر المنصرمة على إظهار حكومته كمدافع عن حقوق المسلمين في مختلف مناطق العالم بحيث أن ذلك أصبح سمة بارزة للسياسة الخارجية التركية، إلا أنه في الواقع تنظيم يضم في تركيبته، بشكل أساسي، الفئات ذات التوجهات الدينية الواضحة الداعمة لبعض الجماعات المتشددة. وهذا ما ظهر جليا في دعمه المبالغ فيه لحركة حماس، وأيضا دفاعه المستميت عن الاخوان المسلمين في مصر ورئيسهم المعزول محمد مرسي، وأي انخراط حقيقي لتركيا في عمليات عسكرية ضد داعش سيفسر من جانب ذات القاعدة الشعبية كانحياز إلى جانب نظام الأسد في دمشق ، الذي كان أردوغان من أوائل الذين دعوا صراحة إلى إسقاط هذا النظام، وانحيازه الواضح إلى التيارات الإسلامية في المعارضة السورية من أخوان مسلمين وغيرهم بما فيها كل من جبهة النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، أي داعش ذاتها. والتي قامت تركيا بفتح حدودها

للآلاف من المتطوعين الغربيين الذين التحقوا بصفوف هذه التنظيمات المتشددة في سورية، وتقديم الدعم العسكري واللوجيستي لها في إطار سياستها الرامية إلى الإطاحة بنظام الأسد. فأي انخراط من جانب تركيا ضد تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" لإنقاذ مدينة عين العرب (كوباني) من ميليشيات هذا التنظيم المتطرف، سيكلف أردوغان الكثير وهذا ما يسعى إلى تفاديه، خاصة وأنه مقبل على خوض انتخابات برلمانية مصيرية خلال العام القادم.

٣. السبب الثالث: تخوف أنقرة، من قيام تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" بالكشف عن العلاقات السرية التي تربطها بمؤسسات الدولة التركية مما سيضعها في حرج حقيقي أمام حلفائها الأوربيين والأمريكيين.

من هنا يمكن الاستشراف فالقول، إنه في ظل تلك الأحداث والتطورات الأخيرة، وبعد حوالي شهر من القتال الدائر في محيط كوباني، أتت ردود الأفعال الإقليمية والدولية على عكس ما تريده وتهدف إليه تركيا، فمن اشتعال الداخل التركي بالمظاهرات وخاصة في المناطق ذات الأغلبية الكردية التي يبلغ تعدادهم ما يزيد عن عشرين مليون نسمه، وبعد أزمات عدة خلال الأشهر الماضية بداية من أحداث ميدان تقسيم إلى انتفاض مدن كردية في جنوب شرق تركيا ضد سياسات العدالة والتنمية بسبب نهج تركيا المتواطئ ضد الأكراد إزاء ما يحدث في كوباني، وهو ما أسفر عن مقتل الكثير من المتظاهرين برصاص الأمن التركي، وهو يعيد إلى الأذهان سلسلة من العقبات الداخلية التي لا تنتهي من أن تولى اردوغان والعدالة والتنمية الحكم في تركيا، الأمر الذي سيؤدي إلى تفاقم الأزمة الداخلية في تركيا بسبب النهج المتهور المستمر للسياسة الخارجية لنظام اردوغان الحالي على مدار السنوات الماضية. فمنذ وصول حزب العدالة والتنمية التركي إلى سدة الحكم في عام ٢٠٠٢م، تعيش تركيا سياسيا حالة انفصام واضحة؛ تعكس التناقض بين توجهات تركيا كدولة محورية في منطقتي الشرق الأوسط والبلقان وعضو مهم في حلف شمال الأطلسي "الناتو" وما يستلزمه ذلك من البراجماتية السياسية التي تتسم بالديناميكية والمرونة والتي تدعيها تركيا، وبين الطابع التقليدي والمحافظ للقاعدة الجماهيرية للسلطة الاوردغانية القائمة التي تضعها في تعارض مع توجهاتها الوظيفية المفترضة، وهو تعارض بنيوي يواجه اردوغان ونظامه في الأزمة الحالية تجاه كوباني، التي ساهم في خلقها، من المتوقع أنها لن تمر كمثيلاتها التي تعرض لها، وأن كوباني سواء بقيت صامدة أو سيطر عليها

تنظيم داعش سيطرة كاملة، فأنها ستأخذ منحى معيناً ونهاية ما؛ تكون بداية لمرحلة جديدة في تاريخ المنطقة، عنوانها الرئيسي، تغير خريطة الواقع السياسي والاستراتيجي المتعارف عليه منذ عشرات السنين.

---

* **أستاذ مساعد في العلاقات الدولية والدراسات الاستراتيجية**